



جامعة الملكة أروى
Q A U

دور اللغة العربية في التعريف بالحضارات الإنسانية

د/ عبدالله علي علي الثوري

جهة النشر جامعة الملكة أروى

copyrights©2014

دور اللغة العربية في التعريف بالحضارات الإنسانية

إعداد الدكتور / عبدالله علي الثوري

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين القائل في محكم كتابه: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير"¹

والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وسيد المرسلين محمد بن عبدالله الذي أرسله الله رحمة للعالمين الذي أنزل عليه أول ما أنزل قوله تعالى: (اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم)²

والذي زكى الله منطقه ولسانه فقال عنه: (وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، علمه شديد القوى)³. والقائل عن نفسه وعن منطقه: "3 والذي نفسي بيده لا يقول هذا إلا حقاً" وأشار إلى لسانه، والذي جعله الله مركز تواصل للعالمين برسالاته السماوية العالمية ولسانه العربي المبين، الذي دعى به الناس أجمعين، قال تعالى: (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً)⁴ وبعد:

فإن اللغة العربية أدت دوراً رائداً ومتواصلاً عبر العصور في التعريف بالحضارات الإنسانية عن طريق آدابها وفنونها المتنوعة وعبر علمائها وشعرائها الذين أظهروا ذلك في إنتاجهم العلمي والأدبي بكل أمانة وحيادية في القديم والحديث، وفي هذا لبحث أوضحنا هذا الدور الذي قامت به اللغة العربية، مستدلين على ذلك بالأدلة والشواهد التي تؤيد بعضها بعضاً، واكتفينا بما اقتبسناه من أمثلة سواء من أدب العصر الجاهلي المرتبط بموضوع البحث أو العصر الإسلامي ولا نعني بذلك الإحصاء والتقصي وإنما الاستشهاد والاستدلال، ونأمل من خلال هذا البحث تحقيق الأهداف الآتية:

- 1- توضيح دور اللغة العربية في التعريف بالحضارات الإنسانية .
 - 2- دفع الشبهة عن اللغة العربية (بأنها لغة احتكارية أو منزوية).
 - 3- تعميق معاني التواصل الحضاري الإنساني بوساطة اللغة العربية وآدابها المتنوعة .
 - 4- كشف الحقائق عن عدد من الحضارات الإنسانية التي درسناها بالتفصيل والتحليل .
 - 5- الإسهام في نشر ثقافة التعارف والتواصل ما بين جميع الحضارات الإنسانية .
 - 6- بيان دور القرآن الكريم الذي نزل بلسان عربي مبين في التعريف بالحضارات الإنسانية .
- وتكمن أهمية هذا البحث فيكونه يحقق هذه الأهداف، وفي موضوعه الذي يحتاج أن يعرفه الكثير من أبناء هذه اللغة ويعرفوا الدور الذي أدته وما تزال تؤديه لأن ذلك ينعكس على تكوين الشخصية المنتمية لهذه اللغة ولهذه الأمة .

وكان تقسيم البحث على النحو الآتي :

-المقدمة .

¹ -سورة الحجرات آية:13.

² -سورة العلق آية: 1-5.

³ -سورة النجم آية:3-5 .

⁴ -سورة آية :

- المبحث الأول: التعريف بالحضارات الإنسانية من الأدب العربي في العصر الجاهلي، ويحتوي على :

المطلب الأول : الشعر .

المطلب الثاني : النثر .

المبحث الثاني: التعريف بالحضارات الإنسانية من خلال القرآن الكريم .

المبحث الثالث: التعريف بالحضارات الإنسانية في أدب الجاحظ وابن المقفع . وفيه :

المطلب الأول : الجاحظ .

المطلب الثاني : عبدالله بن المقفع.

الخاتمة : وتتضمن أهم نتائج البحث والتوصيات.

وقد رجعنا في ذلك إلى العديد من المراجع القديمة والحديثة ، وهي مرفقة في نهاية البحث .

وإن غاية ما نؤمله من هذا الجهد هو الإسهام في خدمة

لغتنا وتأكيد التواصل الحضاري الإنساني عامة.

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل

والحمد لله رب العالمين .

دور اللغة العربية في التعريف بالحضارات الإنسانية

المبحث الأول: الأدب الجاهلي.

المطلب الأول: الشعر:

يعتبر الشعر الجاهلي من المصادر المهمة للتاريخ العربي وغير العربي وحضارة ما قبل الإسلام، حيث يتحدث شعراء العصر الجاهلي عن العديد من الحضارات الإنسانية والتي جاءت على ألسنتهم في العديد من القصائد الشعرية التي سنعرض أنموذجاً منها للشاعرين الجاهليين المشهورين امرئ القيس والحارث بن حلزة كما سنوضحه فيما يأتي :

أ- امرئ القيس:

لقد ذكر في شعره عدداً من ملامح الحضارة الرومية عندما عاد من رحلته إلى قصر من قصورها حينها، بعد مقتل والده بغرض طلب العون من ملك الروم في قتال بني أسد حيث يقول في ذلك :

تذكرت أهلي الصالحين وقد أتت	على خملي أخص الركاب وأوجرا
فلما بدت حوران والآل دونها	نظرت فلم تنصر بعينيك منظرا
تقطع أسباب اللبانة والهوى	عشية جاوزنا حماة وشيزرا (1)

فحوران ، وحماة وشيزرا ، مناطق في بلاد الشام التي كان يحكمها في ذلك الحين الروم وذلك يدل على سعة ملكهم الذي وصل إلى حدود البلاد العربية آنذاك حيث يعد ذلك مؤشراً واضحاً للتعريف بجانب من جوانب حضارتهم .

وما يزال امرئ القيس يذكر في شعره الذي يصف فيه النسوة اللاتي يتزين بألوان الزينة ويتعطرن بأصناف العطور التي جلبت من الهند ووضعت في حقة حميرية ، حيث يحمل في هذه الأبيات دلالة مهمة عن الحضارة الهندية التي اتسمت بالصناعات الفاخرة من الملابس كما يذكر الأوعية لهذه العطور التي اختصت بصناعتها الحضارة الحميرية فيقول :

غرائر في كن وصون ونعمة	يحلين ياقوتا وشذرا مفقرا
وريح سنا في حقة حميرية	تحض بمفروك من المسك أذفرا
وبانا وألوياء من الهند ذاكيا	ورنداً ولبنى والكباء المقترا

ويصف لنا أيضاً جزءاً من حضارة البحرين حيث النخيل الذي بجوار قصور آل يامن - التي تقول بعض الروايات أنها من أصل حبشي - وبين اهتمامها بزراعة النخيل وكيف كانت تحميه من لصوص الثمار،

¹ - بلاد العرب في التاريخ القديم , عبد الله بالغيث . دار الكتاب الجامعي - صنعاء ط 3 - ص 31

ويفيدنا أيضاً أنه كان في ذلك العصر وتلك البقاع عمال يصرمون النخيل عند النضج كما هو الحال في عصرنا هذا وذلك يدل على ما وصلت إليه من حضارة⁽¹⁾ فيقول :

أو المكرعات من نخيل ابن يامن دوين الصفاء اللائي يلين المشقرا²
سوامق جبار أثيبت فروعه وعالين قنواناً من البسر أحمر³
حمته بنو الربداء من آل يامن بأسيافهم حتى أقر وأوقرا⁴
وأرضى بنى الربداء واعتم زهوه وأكمامه حتى إذا ما تهصر⁵
أطافت به جيلان عند قطاعه تردد فيه العين حتى تحيرا⁶

فهو يصف هذا الوصف الذي يدل على وجود حياة منظمة وحضارة متقدمة نوعا ما ، بنت أنموذجاً حياتياً أدهش الإنسان حتى تردد وتحير في إبداعه .

ويكثر امرئ القيس في شعره من ذكر لهذا المعالم الحضارية من حين إلى آخر هو وغيره من الشعراء كما سيأتي ذكره .

ب - الحارث بن حلزة:

يعد الحارث بن حلزة من الشعراء الذين ذكروا عددا من معالم الحضارات الإنسانية التي كانت قبل الإسلام من خلال ذكر بعض الألفاظ الدالة على ذلك مثل كلمة (المهارق) التي ذكرت أكثر من مرة في معلقته حيث يقول :

واذكروا حلف ذي المجاز وما قدم فيه العهود والكفلاء
حذر الجور والتعدي وهل ينقض ما في المهارق الأهواء
"فما هذه المهارق ؟ ومن أين جاءت إلى عرب الجاهلية ؟

تتفق المصادر القديمة على أن المهارق - ومفردها مهرق - قماش من الحرير كان يطلى أو يسقى بالصمغ ثم يصقل بالخرزة ، ثم يستخدم في الكتابة عليه وهم يعززون مصدره إلى بلاد فارس⁷ فكلمة (مهارق) فارسية الأصل وقد عربت ، وهي في الأصل (مهركرد) أي صقل به . وهكذا يدل الاسم نفسه على المصدر .

"الواقع أن الشاعر قد عرف هذا المصدر وقرر هذه الحقيقة من قبل فقد قال الحارث بن حلزة كذلك :

لمن الديار عفون بالحبس آياتها كمهارق الفرس
فهو يقرر أن المهارق صناعة فارسية ، أو أنها على أقل تقدير مستجلبة منهم .¹

¹ - الأدب الجاهلي ص 147

² - المكرعات : أشجار النخيل المغروسة في الماء ، والصفاء والمشقر ، قصران باليمامة .

³ - السوامق : المرتفعات ، والجبار : الذي فاق اليد طولاً ، والأثيث : الغزير ، والقنوان : هو من النخيل كالعنقود

⁴ - البسر الأحمر : نوع من التمر .

⁵ - تم ثمره وكمل .

⁶ - جيلان : قوم كانوا يصرمون النخل .

⁷ - كوركيس عواد : الورق أو الكاغد ، صناعته في العصور الإسلامية ، مجلة المجتمع العلمي - دمشق ج 23 ص 417 .

ويبدو من كثرة استخدام الشعراء الجاهليين لهذه لكلمة أن هذا النوع من الورق كان كثيراً ومنتشراً، ويبدو أن إنتاج الفرس منه كان من الوفرة بحيث إنهم كانوا يصدرونه إلى البلاد المجاورة، ويقال إن الروم كانوا يكتبون في الحرير الأبيض، ولا شك أن ذلك مؤشر إلى ما وصلت حينها تلك الأمم من حضارة، نقلتها لنا اللغة العربية من خلال الشعر الجاهلي الذي كان يمثل صورة لحال العرب ومن يتصل بهم من الأمم الأخرى.

المطلب الثاني: النثر .

نجد في نثر العرب الأدبي في العصر الجاهلي إشارات واضحة عن حضارات الأمم الأخرى ممن سبقهم مثل خطبة قس بن ساعدة الإيادي التي يذكر فيها العديد من الأقسام ذات القوة والحضارة التي ملأت سمع الدنيا حينها وأصبحت مضرب الأمثال، وفي ذلك يقول:

"أيها الناس: اجتمعوا و اسمعوا وعوا ... إلى أن قال : يا معشر إياد أين ثمود و عاد؟ و أين الآباء و الأجداد؟ و أين الفراعنة الشداد الخ..."²

فقد ذكر قس في خطبته هذه أقواماً بنوا حضارات عظيمة و هم قوم عاد الذين اشتهروا بالقوة وتشديد البنيان الذي لا يستطيعه غيرهم، و هو يتساءل عنهم على سبيل الاستعظام لشأنهم و بالرغم من ذلك فقد هلكوا، و هذا يدل أنهم كانوا أهل قوة و حضارة و عمارة للأرض، كما أنه يذكر قوم ثمود الذين كان لهم البطش في الأرض حتى ظنوا أنهم بقوتهم لن يستطيع إهلاكهم أحد، و يذكر الحضارة الفرعونية التي يفخر بها إلى اليوم و ذلك كله يدل على حضارة تلك الأقسام وقد عرفنا بها اللغة العربية بأدبها شعراً و نثراً و الذي أخذ يردد عبر الأجيال إلى اليوم.

والأمثلة على تأكيد ذلك من هذه الآداب كثيرة غير أننا نكتفي بما ذكرنا لمناسبة المقام الذي يتطلب

الإيجاز.

المبحث الثاني : في القرآن الكريم.

● القرآن الكريم نزل به الروح الأمين على الصادق الأمين محمد بن عبدالله خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، بلسان عربي مبين، و هذا اللسان العربي المبين حمل إلينا ذكر العديد من الحضارات الإنسانية و عرف بها بأوضح صورة، و لم يعرف بها العرب فقط بل عرف بها العالمين، لأن القرآن الكريم هو كتاب المسلمين الحق في كل بقاع الأرض، و الذي بلغ بيانه الحجر و المدر، و بلغ ما بلغ الليل و النهار، و هو الكتاب الوحيد الذي لا يمكن أن يقرأ إلا باللسان العربي الفصيح للعرب و غير العرب، و لأنه كذلك فإن اللغة العربية التي نزل بلسانها هي ربما اللغة الوحيدة التي تعرف بالحضارات الإنسانية إلى البشر جميعاً لأن المسلمين و المنتميين لهذا الدين يلزمهم تلاوته، وهم مع هذا من كل لسان و كل أمة مع اختلاف نسبة تواجدهم في العالم غير أنهم يقرأون ما ذكره القرآن عن الحضارات الإنسانية باللسان العرب أو باللغة العربية، قال تعالى: (و اذكروا إذ جعلكم خلفاء

¹ -المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، دز عز الدين اسماعيل، دار المسيرة، للنشر والتوزيع ط 1-2003م ص36.

² - العقد الفريد ج 1 ص 254.

من بعد عاد و بؤآكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً و تتحتون الجبال بيوتاً فاذكروا آلاء الله و لا تعثوا في الأرض مفسدين)¹، إنه ذكر لحضارة إنسانية متكاملة كانت لها الخلافة في الأرض و كان المتبني لها هم قوم عاد الذين وصفوا بالقوة و العمارة للأرض كما و صفهم الله تعالى و بالرغم من معاداتهم للرسول و عدم اتباعهم للأنبياء كما قال تعالى: (و تلك عاد جحدوا بآيات ربهم و عصوا رسله و اتبعوا أمر كل جبارٍ عنيد)²، و مع أنهم في أخلاقهم قوم مفترون كما قال تعالى: (و إلى عادٍ أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون)³، حتى استحقوا اللعنة من الله تعالى و الإبعاد من رحمته في الدنيا و الآخرة كما قال سبحانه: (و اتبعوا في هذه الدنيا لعنة و يوم القيامة ألا إن عاداً كفروا ربهم ألا بعداً لعادٍ قوم هود)⁴، كل تلك الصفات التي ذكرها القرآن الكريم عنهم بلسانٍ عربيٍّ مبين، غير أن القرآن لم يغض حقهم بأنهم كانوا أهل حضارةٍ و قوةٍ و بأسٍ شديد كما وصفهم الله تعالى في موضع آخر بقوله سبحانه: (ألم تر كيف فعل ربك بعاد، أرم ذات العماد، التي لم يخلق مثلها في البلاد)⁵، و "أرم" هم من قوم عاد، و جاء الوصف لهم بقوله سبحانه: (ذات العماد) و هي الأعمدة التي شيدت عليها المباني الضخمة كما قال الشوكاني رحمه الله: "هم⁶، عاد الأولى، وعاد الأخرى هم شداد و لقمان و قومهما المذكورين في قوله (إرم ذات العماد)" و قال سبحانه مبيناً ما هم عليه من قوة (ويزيدكم قوة إلى قوتكم)⁷، فالقوة و البنیان العالي من أسس بناء الحضارة الرئيسية في مفاهيم كل إنسان و القرآن الكريم ذكرها ليُصبح ذكرها خالداً إلى اليوم و ليتمتد إلى البشرية باختلاف ألوانها و ألسنتها.

وعرّف القرآن الكريم بلسان عربي مبين بالفتية المؤمنة التي قال عنها: (إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى) و مع بيان قصتهم بين القرآن الكريم حضارة القوم الذين عاشوا فيهم و عبادتهم و آلهتهم التي كانوا يعبدونها و بين أنهم كانوا يستعملون العملة النقدية في تعاملاتهم المالية و يبيعهم و شرائهم كما في قوله تعالى: (فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا * إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا)⁸

فالكلمات (الورق، المدينة، الطعام الزكي، والرزق، التلطف، والسطوة الموجودة في معنى يرموكم أو يعيدوكم، والملة" تشير كلها إلى وجود حضارة إنسانية متكاملة ذات مدنية تستعمل في تعاملها النقود أو العملة، والناس فيها يسترزقون عبر البيع والشراء المتضمن في قوله تعالى: "فليأتكم برزق منه" أي من الطعام الذي سيشتريه بالورق الذي بعث به، وهم قوم أهل ملة ودين أيا كان هذا الدين فالقرآن يشير إليه كما هو موجود في ذات الزمن واستدعى ذلك أن المفسرين اضطروا إلى تمحيص القصة كاملة والتفتيح عن تلك الحضارة حتى جاءوا بالروايات الصحيحة عن أولئك الأقوام الذين لم تعرف الإنسانية حياتهم وتاريخهم إلا عبر القرآن الكريم وعبر التفسير لهذا الكتاب الحكيم، ومن ثم تم نقلها للعالمين، بعد تحديد مكان أحداثها عند كثير من المؤرخين

¹ الأعراف آية (74).

² هود: آية (60).

³ هود آية (50).

⁴ هود آية (60).

⁵ هود آية (60).

⁶ فتح القدير للشوكاني ج2 ص 649.

⁷ هود آية (52).

⁸ الكهف آية 19، 20.

والمفسرين، واضطر العالم أو من يريد معرفة ذلك أن يدرس العربية أو يفهمها إذا أراد أن يفهم تلك الأحداث حتى أثر ذلك في كثير من اللغات الأخرى غير العربية كما" كشف أكاديمي ماليزي في دراسة إحصائية عن عدد الألفاظ العربية في اللغة الملايوية بأنها بلغت (3303) ثلاثة آلاف وثلاثمائة وثلاثة كلمة استناداً إلى مصادر في دول اندونيسيا وماليزيا وبروناي وسنغافورة وجنوب تايلند ، بعد التأكد من أصلها في المعاجم العربية والقيام بتصنيفها وتحليلها بالنظر إلى بنية الكلمة ودلالاتها ثم ترتيبها حسب حروف الهجاء"¹

وبذلك تصبح اللغة العربية بهذه الآثار التي حملت فيها هذا التعريف بهذه الحضارات وسيلة تواصل حضاري إنساني لا حدود له وبدافع الأسباب الآتية:

1- انتشار القرآن الذي يحمل هذه المعالم المعرفة بهذه الحضارات في كل بقاع الأرض ، وعلى مختلف الأجناس والألسنة الذي لا يمكن قراءته إلا بالعربية الفصحى.

2- وجود دافع تاريخي لدى الكثير من الأمم لمعرفة حضارات الإنسانية والتي لا يمكن فهمها إلا بواسطة فهم العربية ودراسة القرآن الكريم الذي هو بلسانها المبين.

3- دافع معرفي وعلمي لكثير من الباحثين الراغبين في فهم محتوى تلك الحضارات الإنسانية التي أخبر بها القرآن الكريم.

وغير ذلك من الدوافع التي تجعل من العربية بالضرورة لغة التواصل الإنساني الحضاري.

وفي ذلك يقول جوستاف لوبون في كتابه (حضارة العرب): " كلما تعمق المرء في دراسة العربية تجلت له أمور جديدة ، واتسعت أمامه الآفاق، وثبت له أن القرون الوسطى لم تعرف الأمم القديمة إلا بوساطة العرب"² كما تحدث القرآن الكريم باللسان العربي المبين عن الحضارة التي شيدها الملك ذو القرنين وعرف بها العالم أجمع ، وأتى بها كاملة على سبيل التعظيم والإجلال كما في قوله سبحانه: " ويسألونك عن ذي القرنين"³ وهذا الأسلوب اللغوي القرآني المبتدئ بـ " يسألونك " هي طريقة تنبيه لتالي القرآن عن أمرٍ عظيم يتبعه، وهو عن " ذي القرنين" ثم يتبع الحديث القرآن " سأتلو عليكم منه ذكراً" ! وهو تعبير في حد ذاته دال على وجود شيء كبير وعظيم سيتلى ذكره ويظل مخلداً إلى الأبد.

إن الحديث القادم هو عن ذي القرنين الذي قال الله عنه: "إنا مكننا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سبباً * فأتبع سبباً " هل سمعتم بحضارة بنيانها فيه من كل شيء سبباً؟!

ويملك وصل من مطلع الشمس حتى مغربها " حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوماً ، قلنا ياذا القرنين ، إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا ، قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً، وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسراً"⁴

¹ التواصل الحضاري واللغوي بين الشعوب د. أنور محمود زنتاتي -2012م - مصر ص 2

² حضارة العرب- جوستاف لوبون: ترجمة: عادل زعبيتر، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة -1956م

³ الكهف آية 83

⁴ الكهف آية 86 ، 87

هذه الحضارة العظيمة التي كثرت حول تفصيلاتها الروايات وتناقلها القصاصون كان أول ذكرها في القرآن الكريم و سنكتفي بذكر القرآن الكريم لها لتكون إثباتاً خالد لكل باحث ولكل إنسان أيضاً كيف أن القرآن الكريم عرف بهذه الحضارات العالمين باللسان الذي نزل به وهو اللسان العربي المبين. وليكون شاهداً على دور العربية في التعريف بالحضارات الإنسانية التي لم يعرفوها ربما إلا عن طريق القرآن الكريم.

وعلينا أن نتأمل أكثر في قوله تعالى: " قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً، قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً، أتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال أتوني أفرع عليه قطراً، فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا، قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقاً"¹

فهذه الصناعات الحربية والتكتيك العسكري، والإمكانات الجبارة، والاستعمال المتعدد لها ، والتسوية الهندسية جعلت من بنائه المانع لهذه الأقوام المفسدة يحجزهم عن إيذاء الناس في الأرض، رغم قوتهم وكثرة أعدادهم وصلابتهم في القتال " إن هذا الوصف الدقيق لهذه الحضارة المتقدمة حينها يبين أننا أمام صورة متكاملة لقوى عظمي تتحكم في الأرض وتحكمها وتسيطر عليها، كل ذلك نقلته إلينا هذه اللغة العامرة لتكون جسر تواصل تاريخي إنساني حضاري بين جميع الأمم في الأرض.

ويؤكد على ذلك قول الأستاذ الدكتور سالم المعوش بقوله : " إن ما ذكره القرآن الكريم عن الممالك والشعوب التي أهلكت والتي نصبت خير دليل على عراقة تاريخهم، لذلك توج سبحانه حياتهم بالذي يميزهم: فكان القرآن الكريم الذي في معناه العام يعني البناء في كل شيء "² " وكانت " اقرأ " خير بداية تأمر بهذا البناء "³ بناء الحياة التي تقوم على العلم والتعلم والقراءة والتواصل مع الآخرين، والتعارف والتعريف، والانسجام مع الأمم البشرية جمعاء.

و قد تحدث القرآن عن مملكة سبأ بصورة مستفيضة وكتبت سورة كاملة في القرآن الكريم باسم هذه المملكة الحضارية الراقية وهي سورة (سبأ) كما قال تعالى: " لقد كان لسبأ في مسكنهم آية ، جنتان عن يمين وشمال، كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور"⁴ وبغض النظر عما حدث لهم نتيجة كفرهم وعنادهم حينها غير أن القرآن خلد حضارتهم وعرف العالم بها بلسانه العربي المبين. كما ذكر القرآن الكريم الحضارة الإنسانية العظيمة التي كانت على يد نبي الله سليمان عليه السلام ، والتي لم يكن مثلها في العالمين ، ولم يكن لأحد بعده من الرسل والأنبياء مثلها ، والتي بلغت من الملك ما لا يتصوره عقل غير أن القرآن عرفنا بذلك كله، وفسر المفسرون تلك الآيات الشارحة لملك سليمان العظيم.

¹ الكهف 95، 96، 97، 98

² سالم المعوش – دور اللغة العربية في بناء المجتمع العربي وتطوره ص45 – لبنان - بيروت

³ نفس المصدر السابق ص 36

⁴ سورة سبأ آيه

إن التقدم اليوم والانفجار المعلوماتي والحضارة العلمية بكل ما تملك من قدرات وإمكانات لا تستطيع إطلاقاً جلب عرش بلقيس من اليمن إلى بيت المقدس قبل أن يرتد طرف أحدنا ، إن ذلك بالنسبة لنا في حكم المستحيل، وإن القرآن أخبرنا عن ذلك وعرف العالم أجمع بوساطة لغته العربية مدى ما وصلت إليه البشرية حينها من حضارة وملك ورقي وتقدم عملت في تشييده الجن والإنس والطير والعمارة، وكانت الصناعات والعمارات والحياة العامرة الزاخرة بكل قوى الحضارة الإنسانية الحياتية المتقدمة ، بل حتى الأشياء الكونية من جبال وصخور ورياح سخرت لسليمان عليه السلام الملك الرسول النبي، ومن قبله والده داوود عليه السلام الذي كانت المخلوقات كلها حوله تطاوعه في بناء ما يريد كما قال تعالى: " يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر في السرد، اعملوا آل داوود شكراً وقليل من عبادي الشكور"¹

إن الذي عرفنا بهذه الحضارات الإنسانية العربية وغير العربية هي لغتنا العربية التي نتلو بها هذه الآيات القرآنية المحكمة.

بل إن القرآن الكريم أوضح أن أسس الحضارة السليمانية الكونية العظيمة كامن في اللغة التي استطاع بوساطتها التواصل مع الطير، والجن والملائكة والنمل والخيل وجميع المخلوقات كما نص عليها القرآن الكريم بقوله سبحانه وتعالى على لسان سليمان: " يا أيها الناس علمنا منطلق الطير وأوتينا من كل شيء" وقد قدم تعلم المنطق واللغة قبل التعبير عن تملكه للأشياء الأخرى، ليبين لنا أنه اللغة أساس الملك، لأنها تمنحه القدرة على التفاهم مع المخلوقات التي يحكمها، كما في استماعه إلى النمل وخطبة النملة في قولها: " يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ، فتبسم ضاحكاً من قولها"²

ولعلني اذهب إلى أبعد من أن يتصوره البعض عن لغة سليمان ، وأكاد أجزم بأنها اللغة العربية والذي يؤكد ذلك قابلية العربية للتفاهم مع جميع الأجناس البشرية، بل وجميع المخلوقات غير البشرية والدليل على ذلك ما حكاه القرآن الكريم عند تصويره لهذه الحضارة وعجائبها عند سؤال سليمان عن الهدد : " وتفقّد الطير فقال مالي لا أرى الهدد أم كان من الغائبين" وعندما جاء الهدد أخبره بمنطقه الذي يفهمه سليمان عليه السلام فقال: " أحطت بما لم تحط به ، وجئتك من سبأ بنياً يقين" إلى أن أتم وصف مملكة سبأ ، وتفاعل سليمان عليه السلام مع ما سمع من الهدد وأرسل رسالة مفادها كما قالت بلقيس : " وانه من سليمان ، وانه بسم الله الرحمن الرحيم ، أن لا تعلموا عليّ وأتوني مسلمين" فإذا كان سليمان عليه السلام ليس بلسان عربي مبين ويفهم جميع لغات العالمين ، فهل كانت ملكة سبأ تفهم جميع اللغات ومنها لغة سليمان ، أم أنها كانت عربية من سبأ اليمن التي هي محل اللغة العربية .

وإن نص الرسالة " إنه من سليمان وإته باسم الله الرحمن الرحيم"³ وهل هذه الكلمات مترجمة " باسم الله الرحمن الرحيم " إنها عربية فصيحة كاملة المعنى وهي صادرة من سليمان عليه السلام إلى ملكة قوم هم أصل العرب كما يقول جميع مؤرخي اللغة العربية.

¹ سورة
² سورة النمل
³ سورة سبأ آية

وإذا كانت مترجمة أليس ذلك مدعاة إلى التصديق أكثر بأن اللغة العربية التي كانت هكذا نصها هي جسر تواصل حضاري إنساني عرّفنا بكل الحضارات الإنسانية ، عبر ألفاظ تعطى كل مشهد حقه من الوصف والدلالة بتفاصيل دقيقة ومحكمة.

لقد عرض القرآن الكريم هذه الحضارات التي بلغت ما بلغت من الرقي الحضاري والقوة والبأس، بشكل مفصّل حيناً، ومجمل حيناً آخر حسب

ما يقتضيه السياق بوساطة اللغة العربية التي تمكنت ألفاظها من تلك الوظيفة الصعبة لتكون مسهمة في بناء تلك الحضارات وفي التعريف بها كما يوضح ذلك الدكتور أحمد داود الباحث العربي السوري في تاريخ الحضارات مؤكداً من خلال تعقبه " للآثار والنقوش وتواريخ الأمم وهو يتعقب الفكرة خارج البلاد العربية، يؤكد أن اليونان يدينون للعرب بكثير من نسبهم وتاريخهم وعلومهم وتكونهم..... وأن العرب هم السلالة الأولى التي انسلت منها سلالات فرعية منها: الفينيقيون والمصريون والفرس والأكراد والأتراك والهنود والأحباش والبربر واليونان والإغريق والظليان و الكلتيون ، والأسبان"¹

وبين أن لغة هؤلاء الأقوم اتخذت أشكالاً متقاربة وقريبة من العربية، بإثباتات عديدة"² وحتى إذا لم نأخذ بافتراض الباحث إلا أننا نجد الشواهد على ذلك من غيره كثيرة، ومتابعة في تاريخ اللغة الإنسانية بصورة ملفته ربما يضيق مجال البحث هنا عن ذكرها، وربما تخرج عن إطار نقطة البحث التي نحن بصددنا وهي تعريف القرآن الكريم بالحضارات الإنسانية.

وقد سرد القرآن الكريم أيضاً حضارات إنسانية أخرى منها الحضارة الفرعونية في قصة موسى عليه السلام مع فرعون كما في سورة (البقرة وغيرها)

كما أشار القرآن الكريم إلى الحضارة البابلية وخلاصة ما انتهت إليه من علوم، وبيان خطورة تلك العلوم على الإنسانية لكنها دلالة على ما وصل إليه العقل البشري من قدرة فائقة تستوعب أكثر العلوم تعقيداً كما قال تعالى: " وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ، وما يعلمان من أحد، حتى يقولوا إنما نحن فتنّة فلا تكفر"³

وذكر القرآن الكريم بالحضارة الحبشية وما وصلت إليه من تقدم في الجانب العسكري وسعة في الملك وذلك في سورة الفيل، وما يتعلق من تفسيرات العلماء التي حملت إلى العالمين قصة حضارة بلغت أوجها لكنها تعالت على الله فدمرها.

وعرض القرآن الكريم بلسانه العربي المبين لحضارة أصحاب الأخدود التي اشعلت النار على الخلق الذين آمنوا بالله وكان على رأسها الملك " ذي نواس" غير أن الله تعالى أهلّم بسبب تعاليمهم على الله وخداعهم الناس.

1

2

3 البقرة آية 102

وعرض القرآن الكريم لقصة قارون وما كان يملك من مال وهيلمان حتى جمع من المال ما لا يجمعه أحد وقال: "إنما أوتيته على علم عندي"¹ ليحكي للعالم أجمع كيف تكون نهاية الحضارات الفردية القائمة على العلو والكبرياء ، والظلم وغمط الناس حقهم ، فكانت نهاية قارون أن خسف الله به وبملكه وقصوره الأرض .
وحكي الله تعالى حضارة كل الأقسام الذين أرسل إليهم الرسل السابقين لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، مثل الحضارة التي بناها النمرود وادعى أنه يملك الأرض كلها ، وأنه يحيي ويميت ، فأهلكه الله تعالى .
وحكي القرآن أيضا قصة قوم عيسى (بني إسرائيل) وما وصلوا إليه في من تقدم لا يبارى في الطب وإشفاء المرضى، وحكي القرآن الكريم بلسانه العربي المبين قصة قوم شعيب الذين اشتهروا بالتجارة واحتكار الأموال ، وقوم نوح أيضا الذين اشتهروا بعظم الأجسام والاهتمام بالتجارة ، والبناء والنجارة وكيف كانت نهايتهم المخيفة التي قضت عليهم جميعاً إلا القليل منهم، وعرف القرآن الكريم بذلك بفترة مهمة من تاريخ البشرية يبدأ بمرحلة جديدة هي مرحلة ما بعد الطوفان ، حيث ابتدئ تاريخ البشرية من جديد من بعدها.. وكل ذلك عرفنا به القرآن بلسانه العربي المبين.

ويحكي القرآن الكريم حضارة ثمود "الذين جابوا الصخر بالواد " وكانوا من ينحتون من الجبال بيوتاً فارهين" دلالة على حضارة واضحة معالمها المتمثلة في البناء وحفر الجبال وتكوين بيوت منها، كل ذلك ليعرفنا القرآن الكريم بهذه الحضارات وليتأكد لنا أن هذه اللغة التي نزل بها هي التي حملت تلك التعريفات بهذا الحضارات الإنسانية القديمة والمعرقة في القدم، والتي ربما لم تعرف إلا بوساطتها.

المبحث الثالث :

دور اللغة العربية في التعريف بالحضارات الإنسانية بوساطة علمائها (الجاحظ ،ابن المقفع أنموذجاً)

المطلب الأول: الجاحظ.

هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفي سنة 255هـ ، نشأ مهتماً بالعلم والأدب وعلم الكلام ، واللغة ، وأصبح من مشاهير الأمة حتى غدا على كل لسان خاص وعام ، وأكثر من التأليف في فنون متنوعة ، فكتب في البيان واللغة ، وفي أحوال الحيوان وفي آداب العرب، وفي الاعتزال ، وفي طبيعة اللغة وخصائصها، وأحوال الناس كالبلخاء ، والأولياء ، وأصحاب المهن ، وتعلم الكثير من آداب غير العرب كآداب الهند والفرس والروم وغيرهم من الأجناس"²

وتحدث عن النثر والشعر والكتابة والخطابة وجميع الفنون والآداب التي تفرعت عن اللغة.

وحديثنا عنه هنا هو حول تعريفه بالآداب غير العربية والحضارات الإنسانية في العديد من كتبه ، مما يؤكد استلهاهم العربية لتلك الآداب والتعريف بشأن أصحابها الذين أنتجوها.

1

2 المصادر الأدبية

ونأخذ كتابه المشهور " البيان والتبيين " لنستعرض بإيجاز نقله لكثير من الاقتباسات والنصوص عن الأمم الأخرى والتعريف بأدابها التي هي مرآة حضارتها.

فهو منذ بداية كتاب البيان والتبيين وفي مقدمته ما إن استشهد ببعض الأبيان الشعرية لعدد من شعراء العرب عن العيّ وانطلاقة اللسان والبعد عن الحصر حتى يأتي باستشهادات على ذلك من غيرهم فيقول: " وقيل لبزر جمهر بن البختكان الفارسي: أي شيء أستر للعبي ؟ قال : عقل يحمله ، قالوا فإن لم يكن له عقل؟ قال : فمال يستره قالوا : فإن لم يكن له مال؟ قال : فأخوان يعبرون عنه، قالوا: فإن لم يكن له إخوان يعبرون عنه؟ قال : فيكون عيباً صامتاً، قالوا: فإن لم يكن ذا صمت، قال: فموت وحي خيرٌ له من أن يكون في دار الحياة"¹ وفي هذا الاستشهاد من الجاحظ رحمه الله دلالة واضحة على التعريف بالفرس وحكمة ملوكهم حيث أنه قالها على لسان بزمجهرين البختكان الفارسي.

ولاتصل الحكمة إلى عليّة القوم ورؤوسهم إلا إذا كانوا أهل علم واهتمام بالأدب وحسن صياغة لتجارب الحياة، وينطبع لدى القاري بمثل ذلك أن الفرس أهل علم وحكمة وحضارة ، مع أن الجاحظ كان يعتز بعرويته إلى درجة التعصب وحتى أنه اتهم بالشعوبية إلا أن ذلك لم يجعله غير منصف لما تنتجته الألسنة الأخرى والأمم البشرية من علوم ، فينقلها كما هي مستحسناً نقلها والاستشهاد بها ، بل والإكثار منها في تضاعيف كتبه كلها. ثم يعرض لنا طائفة من أقوال علماء البلاغة والبيان من كثير من الأجناس فيقول: " وقيل للفارسي: ما البلاغة؟ قال : معرفة الفصل من الوصل، وقيل لليوناني : ما البلاغة ؟ قال: تصحيح الأقسام، واختيار الكلام، وقيل للرومي: ما البلاغة؟ قال : حسن الاقتضاب عند البداهة، والغزارة يوم الإطالة، وقيل للهندي: ما البلاغة؟ قال: وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة، وحسن الإشارة، وقال بعض أهل الهند: جماع البلاغة البصر بالحجة"² ولعلنا نلاحظ أنه ذكر تعريف البلاغة عند الأجناس الآتية : (الفارسي، اليوناني، الرومي، الهندي) وكل ذلك تعريف بحضارة هذه الأمم وإشارة إلى أن علماء لغاتها بلغوا عالياً في التعرف على علوم لغاتهم، وأن هذه الأقسام هم أهل لغات ناضجة فيها من الآداب ما في العربية، وأنهم أهل حضارة تعددت فيها العلوم وأصبح ميدان التنافس فيها عندهم هو التمييز لما هو أفضل وأنفس.

ونجده أيضاً في موضوع آخر يقول: " قلت لبهلة الهندي أيام اجتلب يحيى بن خالد أطباء من الهند، مثل منكة وبازيكر، وقلبرقل ، وسندباد"³

والجاحظ في هذا النص يذكر أن يحيى بن خالد البرمكي وهو وزير الرشيد استقدم أطباء من الهند ثم عددهم ، وفي ذلك تعريف لما وصلت إليه الهند من علم وتقدم في الطب حتى أصبحت الأمم الأخرى تستقدم منهم ، وبذلك نرى أن العرب في مؤلفاتهم بلغتهم العربية يعرفون بهذه الأحوال لتلك الشعوب بكل إنصاف.

" و العربية هي التي استقطبت شعوباً كثيرة حيث تمثل استقطابها في ذلك الامتزاج الكبير للثقافات في أوج ازدهار الحضارة العربية والإسلامية في العصر العباسية"⁴

¹ البيان والتبيين ، أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، دار إحياء التراث العربي - بيروت لبنان - 1430 هـ - 2009م ج 1 ص 5

² البيان والتبيين ج 1 ص 40

³ نفس المصدر السابق ص 42

⁴ سالم المعوش: دور اللغة العربية في بناء المجتمع العربي وتطوره ص 25

والجاحظ يذكر أقوالاً عديدة في ثنايا كتابه عن العديد من الحكماء والعلماء والأطباء من مختلف الأجناس، وهو يأتي بها على سبيل الاستئناس والاسترشاد لا على سبيل الغض منها، فيروي عنهم في ميادين شتى، ومعارف مختلفة، مما يعطي للقارئ صورة أمم متحضرة لديها من العلوم ما يجعلها محل تقدير وإعجاب، ولديها من المعارف والصناعات ما يجعلها في مصاف الأمم المتحضرة، وإن من الجميل والرائع أن تنقل هذه الأحوال عن تلك الحضارات باللسان العربي المبين الذي يحسن تصويرها ووصفها وإعطاءها حقها.

"فهو يروي عن الخراسانيين والهنود والفرس، والروم، والأنباط وعن الاسكندر المقدوني وبعض مقالاته، وغيرهم"¹

وعن الأندلسيين وأدبهم وعن الأتراك والسلاجقة وعن أجناس عدة، ويخبرنا عن بعض حكمهم وعلمهم وغنائم وجمالهم وعاداتهم، وتصورهم وكل ما يتعلق بحضارتهم، بأمانه وإنصاف وإعجاب أيضاً.

إن ذلك كله تعريف بهذه الأمم وبحضاراتها التي تفاخر بها في حينها، والتي احتاجت إلى من يعرف بها فكان أمثال الجاحظ من جهاذة العربية والبيان من صاغ لنا أوضح صورة لما كانوا عليه من الحياة والنظام.

وإن كان خص العلوم اللغوية بالتفصيل عن هؤلاء الأقسام فذلك لمناسبة مقام كتابه، ولأن اللغة "بصفة عامة تلعب دوراً هاماً في صياغة عقلية الفرد والمجتمع"² وهو ما ذهب إليه. ادوارد سايبير من أن "اللغة تنظم تجربة المجتمع" وهي التي تصوغ عالمة وواقعه الحقيقي، وأن "كل لغة تتطوي على رؤية خاصة للعالم"³

"وإن الأمر ليتجاوز ذلك إلى المجتمع ذاته، إذ نجدها الأساس الذي تبنى عليه الهوية الاجتماعية علاوة على الهوية الفردية"⁴

فإذا ما تحدثنا عن البلاغة أو اللغة في أمة من الأمم فإننا نتحدث عن نسيجها الحياتي بأكمله، إذ أن اللغة هي شخصية الأمة التي نتحدث بها وهي الصورة المقربة لحقيقة حضارتها.

وذلك ما نقله الجاحظ في كتبه عند النقل والاستشهاد بمقولات لعلماء تلك الأمم التي يعرف بحضارتها.

"وكلما اتسعت حضارة أمة، نهضت لغتها وسمت أساليبها، وتعددت فيها فنون القول ودخلت فيها ألفاظ جديدة عن طريق الوضع، والاشتقاق، والاقتباس، أو الاقتراض للتعبير عن المسميات والأفكار الجديدة"⁵

وجاء في رسائل الجاحظ التي حققها عبد السلام هارون الجزء الأول رسالة كاملة بعنوان مناقب الترك، تعرض فيها لصفاتهم وطبائعهم ولغاتهم، وقوتهم وطرق قتالهم، وطبيعة حياتهم، ليعرف بذلك "الفتح بن خاقان وزير المتوكل العباسي وكان أديباً شاعراً فصيحاً بارع الذكاء"⁶

وقد بلغت هذه الرسالة أكثر من ثمانين صفحة حيث عرف بالترك تعريفاً كاملاً فيقول في طبائعهم مثلاً: "أما التركي فلأن ينال الكفاف غصباً أحب إليه من أن ينال الملك عفواً، ولم يتهنّ التركي بطعام إلا أن

¹ البيان والتبيين ص 93

² اللغة العربية والتواصل الحضاري ص 30

³ دور وسايبير: اللغة فقد في دراسة الكلام، ترجمة المنصف عاشرو، الدار العربية للكتاب. تونس 1997، ص 155

⁴ نفس المرجع السابق ص 155

⁵ فرد ينان دي سوسبير، محاضرات في الألسنة العامة، ترجمة يوسف غازي، وكيد النصر ص 21

⁶ رسائل الجاحظ: تحقيق عبدالسلام بن هارون - مكتبة الخانجي- القاهرة- ط 2 ج 1 ص 5

يكون صيداً أو مغنماً، ولأعز 1 على ظهر دابته طالبا كان أو مطلوباً² ويقول في دهائهم وذكائهم: " والله لو رمي به في قعر بئر مكتوفاً لما أعجزته الحيلة؟ " 3 أي لوجد له مخرجاً.

وبيّن أنهم أهل قتال ودرية فيه وانطلاق إليه فيقول: " ولو صقلت عمر التركي وحسبت أيامه لوجدت جلوسه على ظهر دابته أكثر من جلوسه على ظهر الأرض"⁴ ويقول في جماع صفاتهم وبناء الدنيا بكمالها وجميع مطالبها: " وهكذا صنع الله تلك البلدة ، وقسم لتلك التربة وجمع دور الدنيا ونشّوها إلى منتهى قواها ومدة أجلها جارية على عللها وعلى مقدار أسبابها، وعلى قدر ما خصها الله تعالى به وأبانها ، وجعل فيها ، فإذا صاروا إلى دار الجزاء فهي كما قال الله تعالى: " إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً"⁵

والجاحظ لم يغفل حضارات باقي الأجناس بل نجده يتعرض -رحمه الله - في رسائله إلى حضارة باقي الأمم فيذكر ما تتميز به كل أمة فيقول: "ثم اعلم بعد هذا كله أن كل أمة وقرن وكل جيل وبني أب ، وجد تهم قد برعوا في الصناعات، وفضلوا في البيان... إلا أن يكون قد سخرهم لذلك المعنى بالأسباب... ولم يبلغ فيه غايته ، كأهل الصين في الصناعات، واليونانيين في الحكم والآداب ، والعرب فيما نحن فيه ذاكروه في موضعه، وآل ساسان في الملك، والأتراك في الحروب ، ألا ترى أن اليونانيين الذين نظروا في العلل لم يكونوا تجاراً ولا صناعاً بأفهم، ولا أصحاب زرع ولا فلاحة وبناء وغرس، ولا أصحاب جمع ومنع، وحرص وكّد، وكانت الملوك تفرغهم ، وتجري عليهم كفايتهم ، فنظروا حين نظروا -يعني في الحكمة- بأنفس مجتمعة ، وقوة وافرة، وأذهان فارغة ، حتى استخرجوا الآلات والأدوات ، والملاهي التي تكون حماماً للنفس ، وراحة بعد الكد، وسروراً يداوي قرح الهموم ، فصنعوا من المرافق ، وصاغوا من المنافع كالقرصطونات⁶، والقبانات والأسطرلابات⁷، وآلة الساعات ، وكالكونيا⁸، وكالشيّزان⁹، والبركار¹⁰ وكأصناف المزامير والمعازف ، وكالطب والحساب والهندسة واللحون ، وآلات وآلات الحرب كالمجانيق، والعَرادات¹¹ ، والدبابات، وآلة النفاط¹²، وغير ذلك مما يطول ذكره "¹³.

وإن هذا النصّ من الجاحظ يمنحنا صورة متكاملة عن حضارة اليونان المتمثلة في إحكام عقولهم وذكائهم وحسن استنتاجاتهم، من هذه المخترعات والآلات والصناعات، وهو ينقلها بكل أمانة دون أن يضيف عليها أية مسحة توجهها بل ،نقلها كما هي وكما كانوا عليه ولم يكتف بذكر الترك وحضارتهم، أو اليونان وتقدمهم ، أو الفرس وأحوالهم ، أو الهند وطرائق حياتهم ، بل نجده يتحدث أيضاً عن الصين وحضارتها فيقول: " فأما أصحاب الصين فهم أصحاب السبك والصياغة، والإفراغ والإذابة والأصباغ العجيبة وأصحاب الخرط

¹ يعز: يغلب

² نفس المصدر ص 59

³ نفس المصدر ص 59

⁴ نفس المصدر ص 55

⁵ سورة الواقعة آية 35

⁶ القرصطونات : نوع من القباب

⁷ الاسطرلابات : مناظر النجوم

⁸ كالكونونيا: آلة مقياس الزاوية القائمة عند النجارين ،

⁹ الشيّزان: آلة مثلها

¹⁰ البركار: آلة هندسية مركبة من ساقين متصلتين تثبت احدهما وتدور حولها الأخرى، ترسم بها الدوائر والأقواس ، وتسمى بالعامية " البرجل" وهي في الفارسية " تركار".

¹¹ العرادات : راجمات صغيرة تشبه المنجنيق وجميعها اصغر منه

¹² آلة النفاط : الذي يصنع النقاط " المواد المحرقة"

¹³ رسائل الجاحظ ج 1 ص 69

والتحت والتصوير ، والنسخ والخط، ورفق الكف في كل شيء يتولونه ويعانونه ، وإن اختلف جوهره ، وتباينت صنعته، وتفاوت ثمنه¹

إننا نجد الجاحظ من خلال كتاباته المطولة عن الأجناس المختلفة من البشرية وعن حضاراتهم كأنه متصل بهم حق الاتصال يعرفهم حق المعرفة وذلك عن طريق وصفه الدقيق لكثير من شؤون حياتهم وحرفهم وأعمالهم ومخترعاتهم وحكمهم وما يتميز به كل شعب عن الآخر، وما يحسنه وما لا يحسنه ويدخل الألفاظ التركية والفارسية واليونانية في إطار وصفه، وكل ذلك يبين مدى التواصل الحضاري بين اللغة العربية وأهلها واللغات الأخرى

التي يتحدث عنها الجاحظ، حتى أثرت اللغة العربية في هذه اللغات ولاشك أنها أيضاً تأثرت بها، وليس لدى الجاحظ فقط بل لقد: " أدى التواصل الحضاري واللغوي إلى دخول الآلاف من الكلمات العربية إلى اللغات الأجنبية، وتوعدت تلك الألفاظ ما بين علمية وأدبية وحياتية تتعلق بأمر المعيشة، بل والمصطلحات العلمية أيضاً"²

إن ما ذكرناه من نصوص للجاحظ في التعريف بالحضارات الإنسانية المختلفة ما يزال في كتبه إلى اليوم منذ القرن الثاني والثالث الهجري تقرأها الأجيال جيلاً بعد جيل، ويتعرفون من خلالها على تلك الحضارات من خلال أدبهم العربي وكتابه وكتبه بلغتهم العربية التي حملت لهم تلك المعالم التواصلية مع حضارات أجناس اللغات الأخرى.

وليس في ذلك إشكال لأن الفتوحات العربية والإسلامية وصلت إلى معظم بلدان العالم سواء بالجهاد في سبيل الله أو بالبلاغ المبين: " وإن التأثير العربي الإسلامي وصل إلى البلقان قبل الفتوحات العثمانية في شرق أوروبا في القرن الخامس عشر الميلادي بزمن بعيد، ونجد اليوم في متاحف البلقان أشياء يعود تاريخها إلى زمن الاتصالات الأولى لشعوب البلقان مع عرب صقلية وجنوب إيطاليا والأندلس"³

وذلك التطواف والفتح للعرب والمسلمين، وكذلك التواصل التجاري والعلمي والحضاري ، أدى إلى نقل معارف وحضارات تلك الأمم بسهولة، وصياغتها في آداب اللغة العربية ونقلها على سبيل الإفادة منها والتعريف بها، وذلك الاحتكاك المباشر وغير المباشر أدى إلى انتقال مفردات اللغة العربية إلى اللغات الأخرى كالاسبانية، والإيطالية، والكشميرية والبشتوية والطاجيكية والكردية والبنغالية بل والمالطية والبهاसा لغة ملايو ولغة الديفيهي لغة المالديف وبعض هذه اللغات ما تزال تستعمل الأبجدية العربية للكتابة إلى اليوم⁴ فلا غرابة أن تصبح تلك المعارف منتشرة في ثنايا الآداب العربية لاسيما عند باحث كالجاحظ رحمه الله.

المطلب الثاني:

ابن المقفع والتعريف بالحضارات الإنسانية:

¹ نفس المصدر السابق ص69

² عبدالرحمن بدوي: دور العرب في تكوين الفكر الغربي، دار الآداب، بيروت 1965ص65

³أنور محمود زناتي التواصل الحضاري واللغوي بين الشعوب. موقع شبكة الألوكة WWW.ALUKAH.NER

⁴ ابراهيم أنيس ، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1978م ، ص 117

من الآداب العربية التي بلغت الآفاق وتداولها الناس ما ورثه للأجيال الكاتب المبدع عبد الله بن المقفع، المولود سنة 106هـ والذي نشأ بالبصرة وحقق فيها العلوم والآداب، وأولع بالعلم ، ونبغ وهو يافع في الكتابة باللغتين الفارسية والعربية ، وكان كاتباً لداود بن عمر بن هبيرة ، وفي العهد العباسي لعيسى بن علي عم المنصور¹

"وكان بن المقفع ذكي القلب، فصيح المنطق، ضليعاً في أدب العرب والفرس، مقدماً في بلاغة اللسان والعلم والترجمة"²

ولسنا هنا في صدد الترجمة لابن المقفع غير أن تلك اللحات تشير إلى سعة علم من نقل لنا العديد من الحضارات الإنسانية في آثاره الأدبية واللغوية والتي تميز فيها بأن بن المقفع كان متقناً للعربية والفارسية معاً وذلك لأن أصله فارسي ونشأته وتعلمه عربي، وهو ممّا ساعده كثيراً على تليح التواصل الحضاري العربي الفارسي، وكذلك الأجناس الأخرى.

ونجد أنه له دوراً واضحاً في نقل معالم العديد من الحضارات الإنسانية من خلال كتبه العربية الصرفة أو التي ترجمها عن لغات أخرى، و تتميز ترجمته بأنها تصل إلى حدّ من الإتقان لا يتصور معه أنها كانت غير عربية ، كما يعني كذلك أنه كان متقناً لهذه اللغات التي ترجم عنها تلك المعارف.

وخير مثال على هذا الدور كتابه " كليلة ودمنة " الذي ترجمه من الهندية إلى العربية، وهو عبارة عن حكم جرت على السنة حكماء الهند وغيرهم يحكيها على لسان الحيوان، بأسلوب أدبي قصصي مميز، وهو ينسب الكتاب لأحد ملوك الهند الذين حكموها ، غير أن الكتاب بمجمله يشير إلى ما وصلت إليه الهند من نظام في الحكم الذي يأخذ بالحكمة في كل أمر على لسان حكيمها " ببداية " ويشير أيضاً إلى القدرة الفائقة لديهم في تتبعها وصياغتها ، ومحاولة ترجمتها عملياً في تصرفاتهم وسياساتهم ، كما أن الكتاب أيضاً يعبر عن صورة لمجتمع أو شعب بلغ من الحضارة مبلغاً عظيماً حيث أن حضارة الأمة تكمن في آدابها وحكمتها ولغتها " فاللغة لها خاصية إنسانية"³ تلزم الإنسان وترافقه وإن الحكمة المصاغة بها دليل حكمة ورقي من يتحدث بها

فإذا كانت في مستوى رقي معين في ألفاظها ومعانيها وأساليبها كانت دالة على رقي الإنسان المستخدم لها ، " فاللغة كائن حي، وكلما اتسعت حضارة أمة ، نهضت لغتها وسمت أساليبها، وتعددت فيها فنون القول، ودخلت فيها ألفاظ جديدة"⁴

وإن بن المقفع لم يكتف بما نقل (بواسطة اللغة العربية) عن الهند وحكمتها وعن الفرس ومعالم حضارتها ، بل ترجم أيضاً كتب المنطق اليونانية إلى اللغة العربية بطريقة واضحة وسهلة التناول، ومن تلك الكتب التي ترجمها: كتب أرسطو في المنطق، وكتاب إيساغوجي المعروف باسم " المقالات الخمسة" كما ترجم

¹ عبدالله محمد أحمد : الأدب في العصر العباسي الثاني، إصدار جامعة العلوم والتكنولوجيا 1430هـ -2009م -ط1ص261

² شوقي ضيف ، سلسلة تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني، دار المعارف القاهرة. د.ط.ص271

³ فردينان دي سوسير: محاضرات في الألسنة العامة ، ترجمة يوسف غازي ومجيد النصر ص21

⁴ سعيد احمد بيومي: أم اللغات ، دراسة في خصائص اللغة العربية والنهوض بها، مكتبة الآداب ط1 القاهرة ، 2002م ص36

أيضاً كتاب التاج في سيرة أنوشروان" وهذه الترجمة لهذه الكتب بأسلوب ابن المقفع الأدبي الراقي لعلها خير دليل على قدرة العربية في استيعاب هذه الأفكار المصاغة بلغة أقوامها وصياغتها بلسانها العربي المبين. وخير دليل على أنها لغة التواصل الحضاري حيث نقل هذه العلوم والأفكار والحكم بدقتها ومؤلفاتها الكاملة مع نسبتها إلى مؤلفيها وشعوبهم التي ينتمون إليها، حتى أصبحت أفكارهم محل إعجاب لدينا إلى اليوم. ولاشك أن ترجمة بن المقفع لهذه الكتب ليس فقط وسيلة تواصل حضاري إنساني بل وسيلة تلاقح لغوي بين العربية وتلك اللغات، وهذا التلاقح والاحتكاك أنتج العديد من الألفاظ المشتركة والمتبادلة بينها جميعاً. " ونجد اللغة العربية كغيرها من اللغات في العالم عبر التاريخ تداخلت مع اللغات الأخرى حيث احتكت واتصلت بالأمم المجاورة"¹

وإن خير وسيلة للتواصل بين الأمم هي ترجمة آدابها وهي الوسيلة التي تبنها ابن المقفع ليصنع لنا معارف تلك الأمم بدقة وإحكام " وكان هو أول من اعتنى في الملة الإسلامية بترجمة الكتب لأبي جعفر المنصور"²

ومن مؤلفاته : الأدب الصّغير، والأدب الكبير، وهما في الأخلاق، وقد طعمهما بالعديد من الشواهد على تأكيد ما فيهما من معانٍ من لغات شتى، معرّفاً في ذلك بجزءٍ من حضارات أهلها دون تحفظ، وهدفه في ذلك المعرفة والإفادة وكذلك التعريف بتلك الأمم والإشادة بها.

ومن مؤلفاته كذلك كتاب (اليتيمة في طاعة السلطان) وقد سار فيه على نفس المنوال من الإفادة من معارف هذا الإنسان من أي جنس كان، مشيراً إلى حضارات كثير من الأمم وإنتاجها الفكر واللغوي والعلمي والحياتي عموماً، وخاصة فيما يتعلق بقضايا الحكم والسلطان.

ولعلّ الكلام في تفصيل ما نحن بصدده عن ابن المقفع وغيره قد يطول والشاهد أن هذه اللغة بأدبها قبل نزول القرآن، وبالقرآن الكريم الذي نزل بها، وبآدابها التي توالى عبر الأجيال حتى اليوم كانت أداة تعريف فاعلة صادقة أمينة بالحضارات الإنسانية، بل كانت لبعض الحضارات هي الوسيلة الوحيدة المعرفة بها كما عرضنا في ثنايا البحث، وهذا يعني أنها لغة التواصل الحضاري بين بني الإنسان بما حملته من معارفهم وآدابهم وعلومهم وأفكارهم،

بل وبما استخدمت من ألفاظ لغاتهم وعزّبتها وأجرت عليها قواعد ضبطها نحواً وصرفاً، وإن هذا الزخم إن دل على شيء فإنما يدل على عمق التواصل الحضاري بين شعوب الأرض قاطبة"³

وبهذا العرض الموجز عن دور عبدالله بن المقفع في التعريف بالحضارات الإنسانية نأتي إلى خاتمة بحثنا هذا، ونأمل أن نكون قد وفقنا فيه وحققنا الهدف الذي يصبو إليه.

ومن خلال ما أسلفنا في هذا البحث نستخلص عدداً من النتائج أهمها مايلي:

- 1- اللغة العربية ذات قدرة فائقة في تحقيق التواصل الحضاري بين الأمم والشعوب.
- 2- اللغة العربية لغة أصلت وأسست وطورت التواصل الحضاري الإنساني عبر التاريخ.

¹ نفس المصدر السابق

² الأدب في العصر العباسي ص261

³ اللغة العربية والتواصل الحضاري ص31

- 3- اللغة العربية جذرت لدينا قناعات يقينية أنها أكثر لغة عرفت العالم أجمع بالحضارات الإنسانية قديماً وحديثاً ، عن طريق القرآن الكريم الذي نزلت به، أو عن طريق آدابها وعلومها المنتجة عبر العصور .
 - 4- اللغة العربية لغة معطاءة منحت معظم لغات العالم الكثير من الألفاظ والمعاني والأساليب، وقواعد الضبط وغير ذلك من خصائصها.
 - 5- اللغة العربية أيضاً تأثرت بلغات الأمم الأخرى عند نقلها لمعالم حضارتها، فانفتحت عليها وأخذت كثيراً من ألفاظها ومعانيها وأجرت عليها أحكامها بلا تردد ولا انزواء.
 - 6- اللغة العربية كما أن لها ذلك الدور عبر التاريخ فهي أيضاً ستظل بخصائصها التي أهمها سعة افقها في التواصل مع غيرها أداة تواصل حضاري إنساني دائم وخالد.
 - 7- لأنها لغة القرآن فإن ذلك يفرض على كل مسلم من جميع الأقطار ومختلف الألسنة أن يتعلمها حتى يفهم كتابه وتعاليم ربه ودينه الشامل لجميع شؤون الحياة وبذلك تصبح محور تواصل حضاري إنساني.
 - 8- اللغة العربية لغة تبادلية، فهي تترجم وتترجم، وتقترض وتقترض، وتعرف وتتعرف ، وتتميز وتميز، وهي بهذه الخصائص أجدر أن تكون هي لغة التواصل الحضاري مع أخواتها لغات العالم أجمع بلا استثناء.
- وعلى ضوء هذه النتائج نوصي بالآتي:
- 1- إبراز دور اللغة العربية كلغة تواصل حضاري إنساني تاريخي عبر جميع المنابر الإعلامية المتاحة.
 - 2- دراسة تطوير الوسائل الاتصالية الإنسانية للتعريف بالحضارات الإنسانية والتعرف على كل خصائصها تاريخاً وواقعاً.
 - 3- إقامة الندوات والمؤتمرات لإثراء معالم التواصل الحضاري الإنساني الذي أدته اللغة العربية عبر القرون إلى اليوم.
 - 4- الاتجاه نحو تيسير اللغة العربية وتسهيل دراسة علومها وآدابها المختلفة حتى تتمكن الأجيال من استيعابها واستخدامها كلغة تواصل حضاري عالمي ولا نعني بتسهيلها (اختزالها أو اجتزائها) بل نعني التسهيل مع الشمول.
 - 5- تبني المؤسسات الرسمية ذات العلاقة وغير الرسمية إشهار الوسائل المتاحة للتواصل الحضاري الإنساني عبر اللغة العربية، وضرب الأمثلة لذلك والتي لاشك أنها متوفرة بكثرة زاخرة.

المصادر والمراجع

- 1- القرآن الكريم
- 2- الحديث النبوي الشريف.
- 3- ابن عبد ربّه الأندلسي- العقد الفريد- القاهرة- د. ت. ط.
- 4- محمد بن علي الشوكاني: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من على التفسير ، مؤسسة الريان - بيروت- لبنان - الطبعة الرابعة - 1428هـ - 2007م
- 5- أنور محمود زناتي- التواصل الحضاري واللغوي بين الشعوب - 2012م - القاهرة- مصر .
- 6- جوستاف لويون : حضارة العرب- ترجمة : عادل زعيتر دار إحياء الكتب العربية - القاهرة - 1956م.
- 7- سالم المعوش - دور اللغة العربية في بناء المجتمع الغربي وتطوره، لبنان - بيروت - 2011م . دار إحياء التراث.
- 8- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين- دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان - 1430هـ -2009م ج1 ص5
- 9- إدوارد سابير: مقدمة في دراسة الكلام، ترجمة المنصف عاشور، الدار العربية للكتاب ، تونس 1997م.
- 10- فرد ينان دي سوسير: محاضرات في الألسنة العامة ، ترجمة يوسف غازي ومجيد النصر. د. ت. ط.
- 11- رسائل الجاحظ: تحقيق عبد السلام محمد هارون - مكتبة الخانجي - القاهرة - الطبعة الثانية - المجلد الأول
- 12- عبد الرحمن بدوي: دور العرب في تكوين الفكر الغربي، دار الآداب ، بيروت - لبنان - 1965م.
- 13- إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة 1978م.
- 14- عبدالله محمد أحمد: الأدب في العصر العباسي الثاني، إصدار جامعة العلوم والتكنولوجيا 1430هـ
- 15- شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي- العصر العباسي الثاني، دار المعارف القاهرة - د. ت . ط. ص 271
- 16- سعيد أحمد بيومي: أم اللغات ، دراسة في خصائص اللغة العربية وسبيل النهوض بها، مكتبة الآداب، القاهرة- ط1-2002م
- 17- عبدالله محمد أحمد - الأدب الجاهلي- إصدار جامعة العلوم والتكنولوجيا 2010م
- 18- عبدالله بولغيث: بلاد العرب في التاريخ القديم، دار الكتاب الجامعي -صنعاء - 1428هـ - 2007م - الطبعة الثالثة.
- 19- 1 كوركيس عواد : الورق أو الكاغد ،صناعته في العصور الإسلامية ،مجلة المجتمع العلمي -دمشق ج23 .
- 20- 1 - المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي ،د عز الدين إسماعيل ،دار المسيرة ،للنشر والتوزيع ط 1-2003م.